

كتاب: الأساس فك العلاج الجمعي (16)

علاقة هذا العلاج بأنواع العلاج الجمعي الأخرى: (؟)

(؟) التحليل التفاعلات Transactional Analysis

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD070413.pdf>

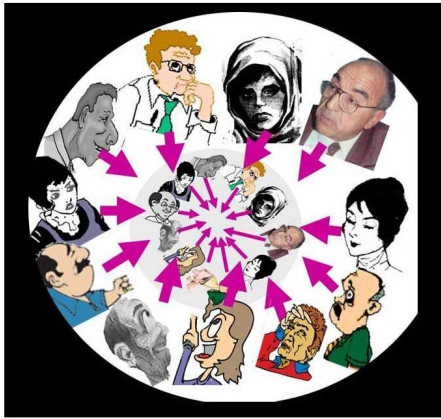
بروفيسور يحيى الرخاوي

mokattampsy2002@hotmail.com - rakhawy@rakhawy.org

نشرة "الإنسان والتطور" 2013/04/07
السنة السادسة - العدد: 2046



مقدمة:



تناولنا في النشرة السابقة العلاج الجمعي الجشالتى بإيجاز شديد، وكذا سوف نتناول اليوم العلاج من منظور مدرسة التحليل

التفاعلات Transactional Analysis

الواقع أننى بدأت هذه الخبرة فى العلاج الجمعى متأثراً بهذه المدرسة ، من الناحية النظرية على الأقل، بشكل مباشر، ولم أكن قد قرأت عن إسهاماتها

فى العلاج الجمعى[1] بوجه خاص، وإنما كنت مشغولاً بشكل أكثر لنشأة هذه المدرسة من الحدس المباشر لصاحبها، ومن بساطة واستقامة لغتها، ثم من إمكانية تطبيق بعدها التركيبى: التحليل التركيبى Structural Analysis بشكل مباشر دون الحاجة إلى كل ما يحتاجه التحليل النفسى التقليدى، وقد بلغ من فرط مباشرتها وبساطتها أن أسىء فهمها كما أسىء استعمالها فى العلاج وغير العلاج.

فكرة تعدد الذوات فكرة مباشرة وذكية ، يؤيدها التطور والتاريخ والتطبيق جميعاً، ومن فرط حماسى للفكرة ، كان من السهل عمل انشاقات بين ذوات الفرد فى كثير من المواقف فى خبرتنا الباكرة فى العلاج الجمعى منذ أوائل السبعينيات، إلا أن حماس الشباب الذين اشتركوا فى تجربة المتطوعين حول هذا التاريخ وكانوا طلبة من كلية الطب جعلت هذا الانشاق أغلب ما يكون بين الذات الطفالية فى مواجهة الذات الوالدية ، وكنا نفرح حين تنتصر الأخيرة على الأولى (الذات الطفل على الذات الوالد) فى كثير مما يجرى فى السيودراما، أو المينى دراما التى تجرى وإلى درجة أقل فى الألعاب. انتقل هذا التحيز وهذا الحماس إلى خبرتنا فى علاج المرضى بشكل واضح، وإن كان أقل تصفيقا وأقل دعماً للذات الطفل.

مع تعميق الخبرة فى مجال العلاج الجمعى تحديداً والنظر فى نتائجها بدءاً من مجموعة الطلبة التجريبية، امتداداً إلى المرضى، ومع مرور الزمن والتتبع لكثير من الحالات التى شاركتنا هذه

فكرة تعدد الذوات فكرة مباشرة وذكية ، يؤيدها التطور والتاريخ والتطبيق جميعاً

الحوار بين اثنين هو فك واقع الحال حوار بين ستة، ويمكن تحليل ذلك فك أحد مقطع تفاعل

اللعبة The Game (الدور) وتشير إلى سلسلة من النقلات بين حالات الذات تفاعلاتها، لكن ليكون دوراً قابلاً للتحليل فإن الذات الظاهرة (على السطح) عادة ما تخفى الذاتين الأخريتين

النص Script وهو يشير إلى برنامج مزروع منذ الطفولة على مستوى

الوعي غالباً يرسم خطة حياة الفرد بشكل أو بآخر

المحاولات البادئة ، اكتشفت أن تجارب الانشفاق واللعب والدراما على أساس هذا التقسيم الثلاثي كانت لا تنتهي بولاف جديد كما نرجو، كما أننا لم نكن ندعو - الذات اليافع (Adult Ego State)، إلى المشاركة للتصالح والتوفيق ثم التناسب والإبدال، أو للولاف والنمو معاً، ومن ثم كانت النتائج تسير في اتجاه نوع خاص من التلوث التلغيفي الذي وصفناه وليس الذي وصفه إريك بيرن أو بيرلز، وكان الناتج نوعاً من "اضطراب الشخصية" بها معالم كثيرة من النكوص والبعد النسبي عن الواقع، كل هذا جعلنا نتراجع ونقلل من هذا الاندفاع في نفس الاتجاه.

ثم إنه بتقدم الألعاب والمنيدرما تبيننا كيف أن تعدد الذات لا يقتصر على هذا التلوث، بل يمتد إلى ما يقابل ما اسماه إريك بيرن "وحدات الذات" Ego Units ، ومع تقدمنا أكثر في التعرف على ماهية تعدد مستويات الوعي (بما يقابل أحياناً تعدد العقول بلغة دانيال دنيث) استطعنا أن نوسع قاعدة الانشفاق إلى ما تجاوز هذا التلغيف التفاعلاتي، حتى وصلنا الآن (2013) إلى ندرة السماح بالأنا الطفولية أو الوالدية بالمثل في المينى دراما إلا لضرورة ترتبط بإمكانية احتواء أى منهما في الكل النامى.

لغة ومبادئ مدرسة التحليل التفاعلاتي:

بصفة عامة فإن لغة هذه المدرسة يمكن إيراد رؤوس مواضيعها كالتالى:

1. **التفاعلاتية Transactions** ، وهو ما اشرنا إليه حالاً من أن الحوار بين اثنين هو في واقع الحال حوار بين ستة، ويمكن تحليل ذلك في أى مقطع تفاعل
2. **اللعبة The Game** (الدور) وتشير إلى سلسلة من النقلات بين حالات الذات تفاعلاتياً، لكن ليكون دوراً قابلاً للتحليل فإن الذات الظاهرة (على السطح) عادة ما تخفى الذاتين الأخرتين
3. **النص Script** وهو يشير إلى برنامج مزروع منذ الطفولة على مستوى الوعي غالباً يرسم خطة حياة الفرد بشكل أو بآخر، ويقول بيرن أن هذا البرنامج هو الذى يحدد معظم أنواع تفاعل الفرد طوال عمره، ويوجز تصنيفات البرامج الأساسية باسم "مواقع" على الوجه التالي:

1. أنا على صواب، وأنت كذلك (الموضع الصحى)
I am O.K. you are O.K. (Healthy position).
2. أنا على صواب وأنت على خطأ (الموضع البارنوى)
I am O.K. you are not O.K. (Paranoid position).
3. أنا على خطأ وأنت على صواب (الموضع الاكتئابى)
I am not O.K. you are O.K. (Depressive position).
4. أنا على خطأ وأنت على خطأ (الموضع الشيزيدى).
I am not O.K. you are not O.K. (Schizoid position).

ويمر العلاج التفاعلاتي عموماً بخطوات متتالية في العلاج النفسى كالتالى :

- 1) **التحليل التركيبى Structural Analysis**: وهو بمثابة تخطيط فرض أمراضى

أنا على صواب، وأنت كذلك (الموضع الصحى)
أنا على صواب وأنت على خطأ (الموضع البارنوى)
أنا على خطأ وأنت على صواب (الموضع الشيزيدى)
أنا على خطأ وأنت على خطأ (الموضع الشيزيدى)

نحن فك العلاج الجمعد
نعتبر الكلام "وسيلة للشغل" ونبدأ الجلسة كما أشرنا سابقاً بالتساؤل : مين اللك عايز يشتغل" وليس "مين اللك عايز يتكلم"،

نحاول فك معظم المواجهات والتفاعلات أن ننبه إلك التعبير بأكثر من قنوات للتواصل، بدءاً بالوجه والجسد، وليس انتهاءً بالإشارة اليدوية التكد نعتبرها نوعاً من الكلام

من واقع التشريح التركيبي لحالات الذات وعلاقتها ببعضها البعض بما يسمح بالتحليل التفاعلاتي .

(2) **التحليل التفاعلاتي Transactional Analysis**: ويعنى به بيرن تفعيل هذه

العملية بفض التلوث، وتحديد الحدود بين الذات، ومنع توه الطفل (الذات الطفلية) وحل الصراع بين الطفل والوالد وترجيح قيادة الذات اليافع معظم الوقت ، وبعد هذه المرحلة يمكن أن يتواصل التحليل النفسى أو التحليل التفاعلاتي (حسب بيرن!!)

(3) **تحليل "الدور" (اللعبة Game)** وهى خطوة تكميلية يقوم بها المعالج أو المريض، بل كلاهما بعد التفاهم على اللغة، بعد القبول المبدئى بفروض التحليل التركيبى.

(4) تحليل النص Scrip : عادة لا يظهر النص بوضوح إلا فى مرحلة متأخرة من العلاج (بعد عدة جلسات من العلاج الجمعى مثلا) ، وعموما فإنه يمكن تحقيق تفوق الذات اليافع قبل أو حتى بدون تحليل النص

وخلال كل ذلك يستعمل المعالج كلا من:

- الأسئلة
- والمواجهة
- والشرح
- والتوضيح
- والتأكيد

والهدف عموما من هذا العلاج هكذا هو الوصول إلى مرحلة التفاعل بلا حاجة إلى لعب الأدوار Game Free Existence، فإن كان ذلك مستحيلا، وهو كذلك فى كثير من الأحيان، فيمكن الرضا بمرحلة يمكن للشخص فيها أن يحذق اختيار "الدور" الذى يلعبه ويحسن أداءه.

التعقيب:

بعد ممارستنا المحدودة لبعض هذه القواعد ، وبصفة عامة كانت لنا مواقف نقدية بلغت حد الرفض إزاء هذا الأسلوب العلاجى وبعض التنظير لهذه المدرسة، نورد أهمها كما يلى :

(1) أسمى إريك بيرن، ولو عفوا، أن هذا العلاج هو "العلاج بالكلام" Treatment by Talk وفى خبرتنا لم يكن الأمر كذلك تماما، فالكلام يكاد يفقد أولويته فى التفاعل فى العلاج الجمعى، برغم أنه الوسيلة الأوضح والأسهل، فنحن فى العلاج الجمعى نعتبر الكلام "وسيلة للشغل" ونبدأ الجلسة كما أشرنا سابقا بالتساؤل : مين اللى عايز يشتغل" وليس "مين اللى عايز يتكلم"، ثم نحاول فى معظم المواجهات والتفاعلات أن ننبه إلى التعبير بأكثر من قنوات للتواصل، بدءا بالوجه والجسد، وليس انتهاء بالإشارة البدلية التى نعتبرها نوعا من الكلام.

نحن لا نعتبر أن التحليل التركيبى خطوة نحو العلاج التحليل النفسى ، بل إن ثمَّ تعارض جذرك بين الطريقتين، ربما لاعتماد التحليل النفسى على الكلام ، فك حين اعتماد العلاج الجمعى (كما نمارسه) على غير ذلك

عندنا المخ قبل العدوانك المنفرد (الذات الشيزيدية) والمخ البارانونك (الذات الهروبية العدوانية = الكو/الفر)، والمخ الاكتئابى (العلاقة البشرية الصحية الضرورية بالموضوع) ثم الذات العادية (أو العصابية أو فرط العادية بدرجات متفاوتة من استعمال ميكانزمات التكيف حتى الامتثال)

نولك اهتماما بالغاً بالبرامج الوراثية، ليس بمعنك وراثته مرض بذاته، وإنما بالبحث عن

أحد نص (برنامج بيولوجي يمكن أن يورث مثل: (القابلية المفرطة للإيقاعية النوابية، أو مثل الاستهداف للتفكك، أو مثل الميول التوجسية..إلخ)

لا نعتبر أن "النص" تكوّن شعوريا أثناء الطفولة كما تصور إريك بيرن، فهك مزروع وبيولوجي وغائر، وجزء كبير منه لاشعوري ويعتبر من سمات الشخصية السوية أو غير السوية

نعتبر النص Script برنامجا بيولوجيا يشمل تشكلات نيورونية، وداخل خلوية مزروعة فينا من قبل أن نولد، وهك برامج بيولوجية قابلة للتطوير كما أنها قابلة للتشويه، وهك نشطة على مستوى اللاوعي غالبا، لكنها تتجلى فك السلوك وفك نوع الشخصية أساسا، ثم تظهر فك المرض

(2) نحن لا نعتبر أن التحليل التركيبي خطوة نحو العلاج التحليلي النفسي ، بل إن ثم تعارض جذري بين الطريقتين، ربما لاعتماد التحليل النفسي على الكلام ، في حين اعتماد العلاج الجمعي (كما نمارسه) على غير ذلك، حتى يصبح الكلام غير ذلك (3) نحن نستعمل التحليل التركيبي كقاعدة تقريبا، بعد توسيع مفهوم تعدد الذوات معتمدين على تحديد الذوات بما يقابل الأمخاخ تطوريا، فعندنا المخ قبل العدواني المتفرد (الذات الشيزيدية) والمخ البارانوى (الذات الهروبية العدوانية = الكر/الفر)، والمخ الاكتسابي (العلاقة البشرية الصعبة الضرورية بالموضوع) ثم الذات العادية (أو العصائية أو فرط العادية بدرجات متفاوتة من استعمال ميكانزمات التكيف حتى الامتثال)، وكل ذلك يمكن رسمه بقطاع مستعرض في الشخصية، سواء قبل العلاج النفسي أو بدونه، ويفيدنا كل ذلك ليس فقط في العلاج النفسي، أو العلاج الجمعي، وإنما في رسم الأمراض لأى مريض من البداية، الخطوة التي هي نعتبرها أهم من لافقة التشخيص في التخطيط العلاجي والمتابعة.

(4) نحن نحترم فكرة ما هو برنامج ممتد موجه "نص" script (خطة حياة) لكن نختلف مع هذه المدرسة في كل التفاصيل كما يلي:

- نولى اهتماما بالغا بالبرامج الوراثية، ليس بمعنى وراثية مرض بذاته، وإنما بالبحث عن أى نص (برنامج بيولوجي يمكن أن يورث مثل: (القابلية المفرطة للإيقاعية النوابية، أو مثل الاستهداف للتفكك، أو مثل الميول التوجسية..إلخ) ، ويمتد احترامنا لهذه البرامج إلى النظر في أثر التنشئة البكرة فيها حتى تكوين الشخصية في كل مرحلة من مراحل النمو، ويتغير النص تلقائيا في النمو السليم مع كل مرحلة نمو ونضع ذلك في الاعتبار باستمرار.
- لا نعتبر أن "النص" تكوّن شعوريا أثناء الطفولة كما تصور إريك بيرن، فهى مزروع وبيولوجي وغائر، وجزء كبير منه لاشعوري ويعتبر من سمات الشخصية السوية أو غير السوية
- لا يقتصر النص - إذن - على هذه الأوضاع الأربعة التي وضعها إريك بيرن، وقد وجدنا أنها مرتبطة بثقافته الغربية بشكل ما، حتى أننا قمنا بتعديلها من واقع خبرتنا بما يجرى في ثقافتنا، مع أننا لا نلجأ إلى استعمالها، لا في التوصيف الأمراضى التركيبي (التحليل التركيبي)، ولا في العلاج النفسي الفردى أو الجمعي، ومع ذلك نورد التحويرات المقترحة التي قد تتفق أكثر مع ثقافتنا وخبرتنا أو ما نأمله في ثقافتنا بشكل أو بآخر

نحن نعتبر النص Script برنامجاً بيولوجياً يشمل تشكيلات نيورونية، وداخل خلوية مزروعة فينا من قبل أن نولد، وهي برامج بيولوجية قابلة للتطوير كما أنها قابلة للتشويه، وهي نشطة على مستوى اللاوعي غالباً، لكنها تتجلى في السلوك وفي نوع الشخصية أساساً، ثم تظهر في المرض بتحويل شديد حسب مسار المرض ونوع العلاج ، وفيما يلي ما نقترحه من تعديل:

- أنا على صواب وعلى خطأ، وأنت على صواب وعلى خطأ (الموقف الصحى)
- أنا على صواب وأنت على خطأ (الموقف البارنوى)
- أنا على خطأ وأنت لست كذلك وأحتاجك (الموقف الاكتئابى)
- أنا على خطأ وأنت كذلك، ولا يحتاج أى منا للآخر (الموقف الشيزيدى).

وبالرغم من ذلك فنحن لا نستعمل هذه النصوص أصلاً، مكثفين بالتعامل مع حالات الذات باعتبارها أمخاخاً بيولوجية، وحسب علاقتها بالموضوع (تطورياً وحسب مدرسة العلاقة بالموضوع) كما ذكرنا، ويتم التركيز على المواجهة فالجدل فالولاف الأعلى فى رحم المجموعة.

خلاصة القول

- ❖ إننا نمارس العلاج الجمعى من منطلق ثقافتنا، ويغلب عليه مبادئ علاج الجشتالت دون الالتزام بالمبدأ الوجودى، مع استلهاهم تقنياته غالباً
- ❖ إننا نأخذ من علاج التحليل التفاعلاتى فكرة التعدد فقط، دون بقية التقنيات والتفاصيل غالباً
- ❖ إننا نتبنى الفكر التطورى الممتد ونفسر من خلاله مراحل ومواقف النمو، ومن ثم الأمراضىة ، ومنها العلاج (النفسى وغير النفسى، الجمعى وغير الجمعى)،

* * * *

تمهيد مهم لتقديم مفهوم تعدد الكيانات

(الذوات - العقول - مستويات الوعى...)

بالرغم من حماسنا الشديد فى البداية لهدية إريك بيرن للعلاج الجمعى، ثم نقدنا المتعدد النواحي لتفاصيل نظريته وتطبيقاتها، إلا أن مفهوم التعدد ما زال يمثل لدينا محورا جوهريا يدور حوله كل من التنظير والممارسة جميعاً، لهذا رأيت لزاماً أن أتوقف هنا قليلاً لأوضح هذا المفهوم لأنه ما زال يمثل منطلقاً إلى معظم الفروض الأمراضىة (السيكوباتولوجية) لجميع مرضانا دون استثناء بما فى ذلك الذهانيين، علماً بأن من أهم ما يميز أغلب العلاج الجمعى الذى نمارسه هو عدم التجانس فى كل شىء بما فى ذلك التشخيص، وبالتالي فكل مجموعة عادة تحتوى ما يقرب من ثلث عددها من الذهانيين.

.....

وغداً أعيد نشر مقال بعنوان: "الوحدة والتعدد فى الكيان البشرى" وهو مبحث مهم تعجبت وأنا

فيما يلي ما نقترحه من تعديل:

- أنا على صواب وعلى خطأ، وأنت على صواب وعلى خطأ (الموقف الصحى)
- أنا على صواب وأنت على خطأ (الموقف البارنوى)
- أنا على خطأ وأنت لست كذلك وأحتاجك (الموقف الاكتئابى)
- أنا على خطأ وأنت كذلك، ولا يحتاج أى منا للآخر (الموقف الشيزيدى)

إننا نمارس العلاج الجمعى من منطلق ثقافتنا، ويغلب عليه مبادئ علاج الجشتالت دون الالتزام بالمبدأ الوجودى، مع استلهاهم تقنياته غالباً

إننا نأخذ من علاج التحليل التفاعلاتى فكرة التعدد فقط، دون بقية التقنيات والتفاصيل غالباً

أعيد قراءته متسائلاً: إذا كنت قد عرفت كل ذلك في هذا الوقت المبكر 1981، فكيف يخيل إليّ أنه لم يصلني ما به إلا حالا؟

إننا نتبنى الفكر التطوري الممتد ونفسر من خلاله مراحل ومواقف النمو، ومن ثم الأمراض، ومنها العلاج (النفسي وغير النفسي، الجمعي وغير الجمعي)

[1] - وإن كنت قد اكتشفت الآن أنه يوجد كتاب لرائدها إريك بيرن عن مبادئ العلاج الجمعي Principles of Group Treatment 1966 وهو صادر بعد كتابه التحليل التفاعلاتي والعلاج النفسي Transactional Analysis and Psychotherapy 1961، أتعشم أن أحصل عليه وأقرأه قبل إصدار النسخة الورقية من هذا العمل.

*** **

وحدة الدراسة والبحث في الإنسان والتطور

"قراءة النم البشري من منظور تطوري انطلاقاً مما أدركه يحيى الرخاوي"

الإصدار الفصلي لنشرة "الإنسان والتطور" (حسب المأور)

ربيع - صيف 2012

"الفصل"

... قراءة من منظور تطوري

مع ملحق حدود بريد الجمعة

www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookSpring&Summer12.pdf

www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookSpring&Summer12.exe

بروفيسور يحيى الرخاوي

rakhawy@rakhawy.org

mokattampsy2002@hotmail.com

للتسجيل في وحدة الدراسة و البحث في الإنسان و التطور

ارسال طلب الى بريد الشبكة

arabpsynet@gmail.com

مصحوباً بالسيرة العلمية

<http://www.arabpsynet.com/cv/cv.htm>